الصحافية التي لا ترضي الصهيونيين . ومع ذلك لا بد من القول ، ان الصحف الغربية عامة بما فيها تلك التي تتعاطف بكل قوة مع الصهيونية في العادة ، أخفقت هذه المرة في ان تعكس أية حماسة في تبني الخط الاعلامي الصهيوني تعليقا على عملية سافوي . ولم يكن بالمستطاع — هذه المرة — العثور على الخط الاعلامي الصهيوني « الاصيل والحقيقي » ، سوى في الصحف الصهيونية الصادرة في الخارج من امثال «**جيروزاليم بوست**» و«**جويش كرونيكل**» الخ. ولا بد ان يثير هذا الامر شيئا من القلق لرجال الدعاوة الصهيونيين ، حيث يبدو واضحا ان حق الفلسطينيين في الكفاح المسلح على أرض وطنهم ، يكسب قبولا حقيقيا ولو من الكارهين . ان هذه الحقيقة في ذاتها ، دلالة على نكسة خطيرة للمجهودات الدعاوية الاسرائيلية التي كرست طاقتها منذ ١٩٧٤ لمنع حدوث مثل هذا الامر.

اسرائيل باعتبارها معقلا للامبريالية الغربية :

كان رجال الدعاوة الاسرائيلية يرسمون اسرائيل ، حتى اكتوبر — تشرين الاول ١٩٧٣ ، تمشيا مع الخط الحكومي الاسرائيلي ، على انها جزء لا يتجزأ من دول العالم الثالث . وبرغم الاستهجان العربي لمثل هذا الادعاء غير المعقول ، حققت اسرائيل قدرا من النجاح في اقناع الرأي العام العالمي،وبالاخص القطاعات اليسارية — الليبرالية، بأنها ليست أمة اوروبية ، بل انها تناضل مع الدول الاخرى الحديثة الاستقلال ، لاقتلاع آخر معالم الهيمنة الكولونيالية الاجنبية ، ولتحقيق الاستقلال الاقتصادي والسياسي عن سادتها الغربيين « السابقين » . وكانت تحشر في هذا « السيناريو » حربها « الاستقلالية » ضد البريطانيين . ومما كان يثير الدهشة ان اسرائيل تمكنت فعلا من اقامة علاقات قوية مع العديد من دول العالم الثالث ، ومع العناصر اليسارية على امتداد العالم الغربي .

لكن علاقات اسرائيل هذه اهتزت بقوة بعد احتلالها للمزيد من الاراضي العربية في يونيو — حزيران ١٩٦٧ ، وبعد نسجها أعمق الروابط العضوية وأمتنها مع الامبريالية الغربية ، وبالذات الامبريالية الاميركية . ولم يعد في وسع اسرائيل ان تخفي الحقائق او ان تغطيها . وهكذا شهدت حرب اكتوبر ونتائجها المترتبة عليها ، الذروة المثيرة لعملية تحول اسرائيل عن العالم الثالث ، وهي العملية التي استغرقت سنين طوالا . وفقدت اسرائيل أية قدرة على الادعاء بعد ذلك انها في معسكر الدول المعادية للامبريالية ، واعادت النظر في توجهها الاعلامي ، ولم تعد السياسة الاعلامية الاسرائيلية اليوم تتحدث عن العالم الثالث ، بعد ان غدا التمسك بالخرافة القديمة امرا عسيرا وغير مقبول . وهكذا طوى رجال الاعلام الاسرائيلي الادعاء القديم بعضوية العالم الثالث ، تجنبا للهجمات السهلة على هذا الخط المفضوح ، وانحرفوا بكل رشاقة الى العالم الغربي . وعلاوة على ذلك فان اسرائيل ما عادت تتوجه الى العناصر اليسارية في المجتمعات الغربية ، الا في أضيق الحدود ، وبصورة متناقصة تدريجيا . وعلى العكس من ذلك ، فانها تعطي قدرا متزايدا من التركيز على نكسات الامبريالية الغربية المتعددة في الهند الصينية ، والبرتغال ، وافريقيا ، وفي الشرق الاوسط ، **باعتبار هذه النكسات حجة وذريعة من أجل دعم غربي أشد لاسرائيل .**

وقبل خمس سنوات فقط ، كثيرا ما كان رجال الاعلام الاسرائيلي يعلنون ان من السخافة مضاهاة « النضال العادل » الذي يخوضه الشعب في اسرائيل ، بأنظمة الدمى العفنة في الهند الصينية ، ولو كان الفريقان يستقيان الدعم الرئيسي من مصدر واحد هو الولايات المتحدة . وكانت الاوساط اليسارية والليبرالية المحترمة ، تعتبر أي تشبيه او مقارنة من هذا النوع ، كلاما مرفوضا وغير صحيح ... وكان الجهد الاعلامي الصهيوني واضحا وقويا وراء هذه المواقف على أي حال . لكن الصهيونيين بدأوا فجأة يتحدثون بتعاطف عن الامر القعيس والمشؤوم في «خنق فيتنام وكمبوديا».

لكننا عدنا اليوم لنسمع التشبيه والمقارنة بين اسرائيل والمعاقل الاخرى للامبريالية الامريكية ، والذين يتحدثون ويقارنون هذه المرة هم الاسرائيليون انفسهم !

وتتبعنا في تقارير سابقة المحاولات الصهيونية لربط منظمة التحرير الفلسطينية والعرب عموما بـ « الامبريالية السوفياتية » في اوروبا والشرق الاوسط . ورأينا كيف حاول الاعلام الاسرائيلي اثارة وتعزيز واستثمار مخاوف العالم الغربي ، بالادعاء ان النفط العربي ، وكذلك منظمة التحرير